مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

منحوتات نوك وايفِي الآدمية

خلال العصر الحديدي

د. أسماء عبدالعليم على إبراهيم

مدرس التاريخ القديم بقسم التاريخ– معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل – جامعة أسوان

DOI: 10.21608/qarts.2024.308675.2037

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٥) أكتوبر ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

منحوتات نوك وايفِي الآدمية
خلال العصر الحديدي

الملخص:

منحوتات غرب أفريقيا (تراكوتا نوك NOK ورؤوس إيفي IFE) تمثل تقليدًا أفريقيًا أصليًا بلغ مستوى عالٍ من الواقعية والحرفية الشديدة، حيث ارتبطت مملكة نوك بثقافة صهر المعادن ومنها انتقلت إلى وسط وجنوب أفريقيا، عن طريق الهجرات البانتوية، بينما ارتبطت إيفي عبر طرق التجارة بشمال أفريقيا وثقافة البحر المتوسط، ونوك وإيفي الثقافتان الوحيدتان من أفريقيا جنوب الصحراء التي صنعتا منحوتات لأشكال أدمية تقترب من الحجم الطبيعي. وقد ورثت حضارة إيفي العديد من جوانب حضارة نوك حيث تعد نوك أول مثال على تكنولوجيا صهر الحديد في أفريقيا جنوب الصحراء، ومنحوتات نوك تسهم بشكل كبير في معرفة الاتجاهات الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية لحضارة نوك، كما أنها تدل بشكل كبير على المدى الجغرافي الذي انتشر فيه تأثير نوك، وتوثق للأمراض التي أصابت السكان منها داء الفيل – الاستسقاء – تشوه الأسنان – تشوه الأطراف –البدانة، كما انتشر تصوير مرض العمى النهري. وتعد منحوتات نوك وسيلة لتتبع الهجرات البانتوية في أفريقيا، كما تدل على وجود شبكة تجارية واسعة النطاق. يمكن تمييز منحوتات نوك الآدمية من خلال الأسلوب الهندسي للوجه والعيون البارزة ذات الشكل المثلث والحجم المبالغ فيه الذي يحتل معظم الجبهة والحواجب البارزة. وتعد رؤوس إيفي تطورًا لمنحوتات نوك حيث تطورت من التراكوتا إلى النحاس وأصبحت مقاييس النحت أكثر دقة وتعكس منحوتات إيفي صورًا هادئة للإنسان وهي عمل طبيعي متقن يتميز بالعيون اللوزية والمسحوبة لأعلى، وهي التي تعطي المظهر الهادئ للمنحوتة، والدقة في التفاصيل التشريحية للوجه وللأذنين. والتفسير الديني هو الأقرب لتوضيح الغرض من إنتاج منحوتات نوك وإيفي، ويدعم ذلك الاعتقاد الروايات الشفوية والأدلة الاثنوجرافية. كما أن إيفي تعد حاليًا مكانًا مقدسًا.

الكلمات المفتاحية: حضارة نوك، حضارة ايفي، العصر الحديدي، البانتو، تراكوتا

مقدمة

منحوتات غرب أفريقيا (تراكوتا نوك NOK ورؤوس إيفي IFE) تمثل تقليدًا أفريقيًا أصليًا بلغ مستوى عالٍ من الواقعية والصقل والحرفية الشديدة، حيث ارتبطت مملكة نوك بثقافة صهر المعادن ومنها انتقلت إلى وسط وجنوب أفريقيا، عن طريق الهجرات البانتوية، بينما ارتبطت ايفي عبر طرق التجارة بشمال أفريقيا وثقافة البحر المتوسط، كما تضمنت الحركة التجارية لإيفي تجارة الذهب، حيث كانت دول غرب أفريقيا والقوى الإقليمية المحلية من كبار موردي الذهب لمنطقة البحر المتوسط. كانت هذه التجارة "قناة قوية للحرف اليدوية والمهارات والأفكار الجديدة والسلع الاستهلاكية، و أصبحت إيفى مدينة عالمية، وجزءً من منطقة اجتذبت التجار والحرفيين وعلماء الدين "من آفاق مختلفة " وصناعة الرؤوس النحاسية لايفى هى واحدة من العديد من التقاليد الفنية لغرب أفريقيا، بما في ذلك بورا Bora النيجر، كوما Kuma غانا، إيجبو أوكو Igbo Oko في نيجيريا، وجيني جينو Jenny Gino من مالي(**Hambolu, M.O.:2012, P.12**)، والتي قد تشكلت من خلال ثقافة انتاج التراكوتا في وقت سابق لثقافة نوك في وسط نيجيريا تعتبر رؤوس ايفي أعلى إنجاز للثقافة الأفريقية، ويعتقد أنها صنعت بواسطة فنانين محليين وبشكل فردى. (**Ramsamy, Edward; Elliott, Carolyn M.; Seybolt, Peter J. : 2012, P.8**)

منحوتات إيفي المصنوعة من التيراكوتا تبدو وكأنها نسخة من تلك الموجودة في نوك، مع التركيز على المعالجة الطبيعية للرأس، وهاتان الثقافتان الوحيدتان – حتى الأن–من أفريقيا جنوب الصحراء بأكملها، اللتان صنعتا منحوتات لأشكال بشرية كاملة تقترب من الحجم الطبيعي. فالعديد من المنحوتات المعروفة في أجزاء أخرى من غرب أفريقيا كلها على نطاق صغير جدًا؛ إذا اقتربوا من الحجم الطبيعي، يتم تمثيل الرأس

فقط، وليس الجسم كله. (توجد بالطبع منحوتات أصغر حجمًا في نوك و إيفي أيضًا) يبدو أنه لا يوجد سبب وجيه للشك في أن فن إيفي نشأ من جذور تقليد نوك لنحت التيراكوتا. عندما أصبح فن إيفي معروفًا في عالم الفن، لأول مرة في عام ١٩١٠م، وذلك بفضل عمل عالم الأنثروبولوجيا الألماني فروبينيوس، وبشكل أكثر لفتًا للانتباه في عام ١٩٣٨م، عندما تم العثور على سبعة عشر رأسًا نحاسيًا بالحجم الطبيعي في مَجمع أنمونجي Wunmonije ، وثقافة النوك كانت لا تزال مجهولة.

أولا: حضارة نوك

نوك Nok هي حضارة نشأت في غرب أفريقيا وتم تسميتها على اسم قرية نوك في جنوب ولاية كادونا بوسط نيجيريا (انظر الخريطة ١). تم اكتشاف منحوتات الطين Terracotta الخاصة بهم لأول مرة في عام ١٩٢٨م، ولم يتم تقدير هذا الاكتشاف بالكامل إلا في عام ١٩٤٤م عندما تم العثور على تماثيل تراكوتا مميزة أثناء تعدين القصدير **(Fagg, A.: 1994, P.79)**، و يعود تاريخ حضارة نوك إلى حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد ووصلت ذروتها مع مزاولة صهر المعادن ما بين ٥٠٠ ± ٢٠٠ قبل الميلاد إلى ٥٠٠ ميلاديًا، أي أن ثقافة نوك ازدهرت في بداية العصر الحديدي تقريبًا. كما هو الحال في أماكن أخرى من العالم، فإن إدخال استخدام الحديد قد منح أصحابه تفوقًا ومكنهم من الازدهار، واختفت حضارة نوك بشكل غامض حوالي عام ٥٠٠ ميلاديًا، ويُعتقد أنها تطورت لتصبح أحد ممالك اليوروبا **(Franke, G.: 2016, P.255)**.

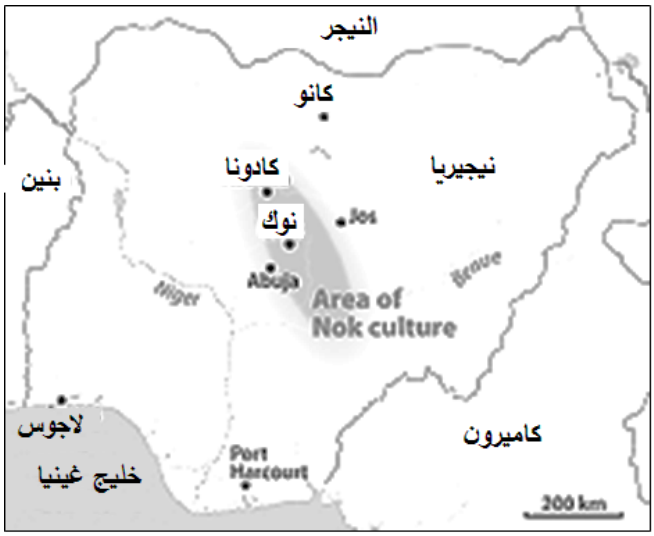

خريطة ١مركز ثقافة نوك – نقلا عن Breunig, P. & Rupp, N.: (2016), P.240

وتميزت نوك بأنها صاحبة تقنية مرتفعة للغاية في صهر الحديد وتصنيعه، الأمر الذي شجع البعض على القول بأن ثقافة العصر الحديدي في أفريقيا الغربية نشأت بطريقة مستقلة عن أي تأثيرات قادمة من الشمال حيث الحضارات الكبرى كالحضارة المصرية القديمة. وقد عرفت نوك صناعة الحديد – على الأقل – منذ ٧٠٠±٢٠٠ ق.م، مسجلة بذلك تاريخًا أقدم من التاريخ الذي سجلته حضارة مروي (٣٠٠ ق.م) (**Connah, G.: 1987, P.24**)، مما يدحض القول بأن البانتو نقلوا تقنيات صهر المعادن من الشعوب النيلية أثناء هجراتهم.

برع سكان نوك في صهر الحديد وتمكنوا من إنتاج أنواع جيدة منه، ولاسيما الحديد الصلب مباشرة من فرن واحد. وقد عثر على العديد من تلك الأفران وخامات الحديد في غرب أفريقيا – بشكل عام – من نوع الخامات الرملية أو الهيماتيت، التي يسهل التعرف عليها في الطبيعة. وكان أهل نوك يقومون بنقل هذه الخامات من المنجم إلى أماكن مخصصة، حيث كانت عملية الصهر تتم في أماكن أخرى بعيدة عن المناجم.

وكانت عمليات الصهر تتم بعيدًا عن النساء، اللواتي يحرم عليهن حضور مرحلة الصهر. وكان يتم تحميص الحديد الخام، ثم جرشه، وتتبعها مرحلة غسل الخام المجروش مرة أو مرتين. وتعد هذه المرحلة هامة لتخليص الخام من الشوائب القابلة للذوبان في الماء، كالمواد الطينية والأملاح. ومن مزايا هذه الطريقة أيضًا أن وجود الخام مبللا بالماء داخل الفرن يمنع من تبعثره بين قطع الوقود أثناء عملية الصهر. وبعد ذلك يدخل الخام إلى الأفران المشحونة تمامًا بالوقود **(جين افريك: ١٩٨٦ص ٦٢٤)**

وعثر في نوك على بقايا العديد من جدر الحظائر، التي كانت تُبنى بداخلها الأفران، وكانت تُبنى هذه الحظائر من الطين ولكل منها باب خاص، وارتفاع هذه الحظائر يتراوح بين المتر ونصف المتر إلى المترين، كما أنها ليست معروشة، ثم داخل كل حظيرة يوجد فرن مبنى أو أكثر وهو الآخر من الطين، ويشغل منطقة دائرية، قطرها يتراوح ما بين المتر ونصف المتر إلى المترين، وطوله يتراوح ما بين المتر إلى المترين ونصف المتر. تستخرج كتلة الحديد المسامية بعد أن تتم عملية الصهر تلك، ويتم كسرها إلى قطع أصغر ويتم صهرها مرة أخرى للتخلص من الشوائب. وهذه الطريقة في صهر الحديد والطقوس المرتبطة بها الأكثر شيوعًا لدى الأفارقة جنوب الصحراء، بعد أن انطلقت من نوك مع الهجرات البانتوية (*) إلى أفريقيا جنوب الصحراء، مما يدل على تأثير حضارة نوك الواسع المدى. وقد عرف أصحاب حضارة نوك استخدام الكير الطبلي المصنوع من الجلود والأخشاب **(Fagg, B. E. B.: 1959, P.289.)**

***) البانتو: مصطلح لغوي حمل مع الوقت مضامين عرقية، ويقصد به الزنج الصريح، واضطروا للهجرة تحت ضغط التغيرات المناخية.**

ورغم إلمام اهل حضارة نوك بأساليب صناعة الحديد إلا أنهم استمروا في إنتاج الآلات الحجرية، والتي كانت تعتبر في هذه المرحلة المبكرة ذات فاعلية أكثر، ومن أمثلة تلك الآلات الحجرية التي ظلت مستعملة في نوك طيلة بواكير العصر الحديدي، الرحى والحلقات الحجرية والفؤوس المصقولة، و أنصال حجرية، وبصفة عامة تعد تماثيل التراكوتا *Terracotta*، والأواني الفخارية ذات الجدران السميكة المعروفة باسم بونتون دوتسي – *Puntun Dutse*(*)، من الآثار الثقافية المرتبطة بحضارة نوك خلال العصر الحديدي في غرب القارة ككل (**Franke, G.: 2016, P.269, 270**).

ويمكن تقسيم حضارة نوك زمنيا إلى:

١) المرحلة المبكرة *Early Nok* (١٥٠٠ – ٩٠٠ ق.م)
٢) المرحلة الوسطى *Middle Nok* (٩٠٠–٤٠٠ ق.م)
٣) المرحلة المتأخرة *Late Nok*(٤٠٠ ق.م – ١ م)
٤) ما بعد نوك *Post Nok Period* (١–٥٠٠ م)(**Junius, H:. 2016, P,28**).

***) تم ربط العصر الحديدي في أفريقيا جنوب الصحراء بنوعين من الفخار: النوع الأول يعرف باسم Dimple–Based (يترجم في النسخة العربية من أفريقيا العام بالمنقور) والنوع الثاني الفخار المخدد Channel Decorated. كانت أشكال الزخارف التي تحملها الأواني الفخارية من نوع الفخار المخدد الأساس الذي بنى عليه Phillipson, D.W. في أواخر السبعينيات تقسيمه لمواقع العصر الحديدي المبكر إلى مجموعات. منذ ذلك الحين، أصبح التقسيم طبقاً لزخارف الفخار هو التقسيم المستخدم في دراسة العصر الحديدي في إفريقيا جنوب الصحراء بأكملها. لان البانتو اتخذوا من زخارف الفخار وسيلة لتحديد الهوية القبلية، مثلها في ذلك مثل التشوهات الجسدية من التشريط والشلوخ. لذلك، يعد فخار البانتو مصدرًا من مصادر دراسة تاريخ البانتو وهجرتهم.**

يشير الحجم الهائل، إلى جانب المهارات الفنية في تماثيل التيراكوتا، إلى أن ثقافة *Nok* كانت مجتمعًا معقدًا. ويدعم ذلك بشكل أكبر وجود حرفة صهر وتعدين الحديد (وهي حرفة ذات مهارة خاصة يقوم بها خبراء يحتاجون إلى احتياجات أخرى مثل الطعام والملابس من قبل الآخرين)، وقد أظهرت الحفريات الأثرية أن نوك كانت لديها زراعة مستقرة. ويعتقد بأن توحيد الطين المستخدم في صناعة الفخار والتيراكوتا يشير إلى مصدر واحد من الطين –هو دليل على وجود حالة مركزية، ولكن يمكن أن يكون دليلاً على بنية نقابية معقدة. تشير النقابات إلى مجتمع هرمي، ولكن ليس بالضرورة دولة منظمة (**Breunig, P.: 2014, P.65**) ، ويمكن القول إن الجانب المادي فقط لحضارة نوك هو الذي تم اكتشافه – حتى الآن–فيما يتعلق بصهر المعادن وإنتاج الفخار والتيراكوتا والطقوس المرتبطة بهم. الذين انتقلوا مع الهجرة البانتوية شكلوا الهوية الثقافية لسكان أفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديدي، ومع منتصف الألفية الميلادية الأولى ولأسباب غير معروفة اختفت نوك.

ثانيا: حضارة ايفّي IFE

تقع ايفّي Ife في نيجيريا اليوم على طول ساحل غينيا في جنوب غرب أفريقيا، في منطقة الغابات المطيرة إلى الغرب من دلتا نهر النيجر، تأسست ايفّي حوالى ٥٠٠م من قبل شعب –اليوروبا – في جنوب غرب نيجيريا وبنين لكنها لم تزدهر حتى النصف الأول من الألفية الثانية، و ثقافة ايفّي تأثرت و ارتبطت بطريقة ما بمملكة نوك، التي بلغت ذروتها في القرن الخامس قبل الميلادي على الجانب الآخر من نهر النيجر، لكن تفاصيل هذه الفترة من التاريخ في جنوب غرب إفريقيا غير متوفرة .اختفت مملكة ايفّي بحلول القرن السادس عشر لأسباب غير معروفة (**Willett, F.: 1967,P.30**) ،وفقًا

للروايات الشفهية فإن إيفي قديمة ويعود تاريخها إلى فترة مبكرة من تاريخ البشرية (Awogbade, M. O: 2016,P.227).

اعتبرت مملكة اليوروبا موقع ايفّي، موقعًا مقدسًا حيث يؤمنون بان الآلهة نزلت من السماء، وخلقت العالم كما نعرفه، قام بذلك الإله الخالق أودودوا Oduduwa بتكليف من ابيه أولودوماري Olodomari لتأسيس النظام والحضارة على الأرض. نزل من السماء بسلسلة وديك وكيس فيه تراب. تمثل هذه العناصر الرمزية سلطته وقوته وقدرته على خلق الحياة وبدأ بفصل الأرض عن الماء وصنع كل الكائنات الحية، تم إرسال أبناؤه ذكورا وإناثا، للحكم على اثنتي عشرة مدينة وبالتالي أصبحوا ملوكهم وملكاتهم الأوائل .من هذه الاسطورة، ادعى جميع الحكام اللاحقين النسب لهؤلاء الحكام المقدسين وكذلك النسب لايفّي على وجه التحديد، كان أول حاكم إلهي هو أوني Oni، واسمه يعني "الملك" (Adepegba, C. O.: 1986,P.85).

هناك أربع نظريات أسطورية حول أصل إيفّي المقدس:

١) أن أودودوا نزل من السماء مع مائتي إله وهبط على تابوت في مدينة أوراف.
٢) أن أودودوا وأبنائه هاجروا من الشرق الأوسط.
٣) أن أودودوا وأبنائه ينحدرون من شرق جزيرة إيل–ايفّي الحالية.
٤) كانت ايفّي تضم ثلاث عشرة مستوطنة منفصلة ومكتملة قبل مجيء أودودوا.

ورغم تعدد الروايات حول إسطورة الخلق في إيفي، إلا أنه هناك نقطة مشتركة بينهم وهي أن أودودوا يعد مؤسس السلالة الحاكمة لايفي، وأن تاريخها يتمحور حول شخصيته (Ogundele, J.O.:2013, pp.4–6).

كشفت الحفائر الأثرية أن حضارة ايفّي قد توقفت عدة مرات، وهذا قد يفسر سبب عدم معرفة الكثير عن الممارسات الثقافية المبكرة حيث لم يتم نقل الروايات الشفويةً إلى الأجيال اللاحقة. من المحتمل أن الملك كان أيضًا على رأس دين ايفّي، والذي كان مزيج من الروحانية وعبادة الأسلاف، وكانت الذبائح والقرابين تُقدم لكل من الآلهة والأجداد (Awogbade, M.O.: 2016, p.226).

وكان لايفّي نفوذ واسع خاصة في التجارة، والفن، والعقيدة، في غرب أفريقيا وتذكر الروايات الشفوية لشعب اليوروبا في بنين (حاليا) أن، ملك ايفّي هو الذي أرسل حرفيًا ماهرًا إلى بنين لتعليم مهاراته في النحت للآخرين. كانت هناك حركة مسجلة لشعوب اليوروبا العاملة في الحديد إلى أراضي "إيدو Edo" في بنين وهناك العديد من نقاط التشابه في فن ثقافتي ايفّي وبنين. على الرغم من أن مملكة ايفّي لم تعد موجودة بحلول أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أن سبب تراجعها غير معروف، ربما لتراجع مكانتها الاقتصادية نتيجة سيطرة الممالك الإسلامية على الطرق التجارية في المنطقة، ولا تزال ايفّي موجودة إلى اليوم كمدينة ريفية صغيرة تحتل موقعًا ذا أهمية دينية مع الأضرحة والبساتين المقدسة المخصصة للآلهة التقليدية (Cann, M.: 2020, pp. 1-5).

وقد ورثت حضارة ايفّي العديد من جوانب حضارة نوك Nok في نيجيريا حيث تُعتبر نوك أول مثال على تكنولوجيا صهر الحديد في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، مما سمح لنوك بالانتقال مباشرة من العصر الحجري إلى العصر الحديدي وتخطي مرحلة العصر البرونزي التي كانت شائعة في أماكن أخرى (Atwood, R.: 2011, p.38.).

أما عن اقتصاد ايفّي فقد اعتمد بشكل كبير على التجارة، كما أن ايفّي وكامل مساحة الغابات المطيرة في غرب إفريقيا بشكل عام، قد ازدهرت بفضل تقنية صهر الحديد والتي ربطت ايفّي بالطرق التجارية الإقليمية ووصلت إلى مدن ساحل البحر المتوسط **(Horton, R.:1979, P.65)**. وبحلول بداية القرن الحادي عشر الميلادي، نمت ايفّي لتصبح مدينة كبيرة مسورة بها العديد من المباني الحجرية الكبيرة بما في ذلك القصر وورش العمل والأضرحة، وتم رصف بعض شوارع المدينة ببلاط التراكوتا وحصى الكوارتز لإنشاء تصميمات هندسية لجعلها أكثر مقاومة للمطر، وبعض الأفنية كانت تحتوي على مذابح، وتم تشيد غالبية الاكواخ من الطين، ولكنها اندثرت مع الوقت، ولكن الدليل على مظهرها الزخرفي هو العثور على العديد من الأقراص الفخارية الصغيرة التي كان يتم لصقها على الجدران لإحداث تأثير الفسيفساء عليها (Willett, F.: 1967 P.30).

ثالثا: منحوتات نوك الادمية:

منحوتات نوك الادمية هي تماثيل تراكوتا Terracotta لرؤوس وأجسام آدمية مجوفة وملفوفة، بحجم طبيعي تقريبًا، وهي مصورة بميزات منمقة للغاية، ومجوهرات وفيرة، وأشكال متنوعة، وهى الاقدم على الاطلاق في غرب أفريقيا.

١ –الاكتشاف.

تم اكتشاف منحوتات نوك في عام ١٩٤٣ في قرية تعدين القصدير التي تسمى جوس بلاتو، على الرغم من أن حضارة نوك كانت معروفة باستخدامها للحديد، إلا أن منحوتات نوك التي كانت مصنوعة من الطين اكتسبت شهرة واسعة. كانت هذه المنحوتات تحتوي على تجاويف ولفائف مبنية على غرار الفخار. يتم استخدام خليط من الطين

والماء لإعطاء المنحوتات ملمسًا متساويًا. وعلى الرغم من ازدهار حضارة نوك في إنتاج الحديد لأغراض الزراعة، إلا أن الحديد كان سلعة نادرة وكانت الأدوات الحجرية تستخدم بشكل شائع. ونتيجة لذلك، كان يتم نحت وتصميم الطين أولاً بأيدي الفنان وليس باستخدام أدوات حديدية. كان فنانو نوك يستخدمون خصائص وتفاصيل خاصة مثل العيون المثلثة وتسريحات الشعر المعقدة. بعد تصميم الطين، يتم حرقه في الشمس الحارقة ثم يوضع في أفران ساخنة عند درجة حرارة تقارب ١٠٠ درجة مئوية. قام الخزافون في نوك بعمل ثقوب في الطين لمنع انفجار المنحوتة أثناء وضعها في الفرن(Fagg, A.: 1994, P. 81.).

يُظهر الفحص المجهري للطين المستخدم في التراكوتا أنه متجانس بشكل ملحوظ في منطقة نوك بأكملها، مما يشير إلى أن الطين جاء من مصدر واحد غير مكتشف بعد. لا يُعرف الكثير عن أغراض هذه المنحوتات الغريبة، لكن بعض النظريات تشير إلى أنها استخدمت كتمائم لمنع فشل المحاصيل والمرض والعقم، بينما اقترح آخرون أنها تمثل أفرادًا ذوي مكانة عالية كان يعبدهم الناس.ومع ذلك، فإن تشكيل التماثيل بالحجم الطبيعي ليس الدليل الوحيد على تقدم مجتمعهم، وقد كشفت الأبحاث أن شعب نوك كان لديه نظام إداري متطور للغاية لضمان القانون والنظام **(Atwood, R.: 2011, P.34)**

٢-الوصف.

تضم منحوتات نوك الادمية منحوتات لذكور وإناث يسهل تميز النوع بسهولة من الصفات الفيسيولوجية، ويمكن تميز منحوتات نوك الادمية عن غيرها من المنحوتات الأفريقية بسهولة من خلال الأسلوب الهندسي المتبع في تنفيذها فنجد السمات المشتركة في أغلب المنحوتات الادمية كالتالي:

الوجه

- الأسلوب الهندسي للوجه مثلث الشكل ذو استطالة (شكل ١).
- العيون بارزة مثلثة الشكل بحجم مبالغ فيه يحتل معظم الجبهة _ كأنها قناع _ بوسطها ثقوب تمثل قزحية العين.
- حواجب بارزة.
- الشفاه مقلوبة، والفم بارز ومفتوح بوسطه ثقب.
- الشعر مقسم إلى أكوام أو يعلوه تاج أو صدف بحري See Shell(شكل ٢)
- ينتهي الوجه بلحية قصيرة مدببة على الاغلب مما يجعل تميز المنحوتات الذكور عن الإناث مهمة سهلة (Fagg, B. E. B.: 1959, P.289)

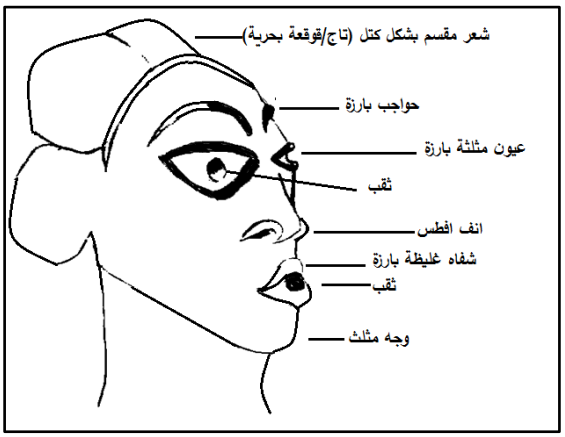

شكل (١): رسم تخطيطي لتراكوتا نوك (بتصريف من الباحثة)

شكل ٢ : تراكوتا نوك نقلا عن: P. , *Franke, G.: 2016*

الجسم

- بالحجم الطبيعي أو الأقرب إلى الطبيعي.
- أدمي صريح أو خليط بالحيوانات.
- نسب الجسم غير متساوية فالرأس والرقبة تشغل مسافة مقاربة للجذع والأرجل قصيرة غالبا.
- المنحوتات الجالسة أو قرفصاء تكون لها قاعدة مجوفة مما دفع البعض الاعتقاد بأن المنحوتات كانت تستخدم كتيجان اكواخ (شكل٣)
- الأذرع في حالة حركة مثل أن تكون ممسكة بشيء ما أو تشير لشيء ما ... وهكذا، وليس لها وضعية محددة (شكل٣)

شكل٣: تيراكوتا من داجي جوان Daji Gwana / محفوظ في اللوفر

نقلا عن: Franke, G.: 2016, P.268

الملابس والزينة:

- وشاح حول الرقبة ويتدلى علي الظهر تنفذ على المنحوتة بطريقة الحبال.– نفس نمط زخرفة الفخار (شكل ٤).
- حزام بطن مربوط من الخلف بنفس نمط الوشاح تنفذ أيضًا على المنحوتة بطريقة الحبال.

- مجموعة من العصابات حول المعاضد والمعاصم والكواحل (Tanja M. Männel and Peter Breunig : 2016, P.323)

شكل ٤: تراكوتا من بانجواري Pangwari

نقلا عن: Tanja M. Männel and Peter Breunig pp. 313-329

٣- تفسير منحوتات نوك

لا شك في أن صهر المعادن في نوك ارتبط بإنتاج الفخار الذي يستخدم كوسيلة لتقسيم المجموعات البشرية المنتمية للعصر الحديدي في أفريقيا جنوب الصحراء. غير أن الغرض من إنتاج منحوتات نوك الادمية غير محدد حتى الآن وأثير حولها عدة فرضيات كالتالي:

- شواهد قبور.
- منحوتات للحكام.
- معبودات.
- تيجان الأكواخ.
- تعويذ وقائية ضد الأمراض.
- عرائس الفودو للسحر.

وقد عثر في مقابر حضارتي Sanga و Katengo في الكونغو كينشاسا على تراكوتا مماثلة تماما لتركوتا نوك(*) مما يرجح المكانة الدينية لتراكوتا نوك ويؤكد على الانتشار الثقافى التجارى والسياسى أيضا لحضارة نوك.

٤- الدلالات التاريخية لمنحوتات نوك

تسهم منحوتات نوك بشكل كبير في فهم الاتجاهات الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية لحضارة نوك، كما انها تشير بشكل كبير إلى المدى الجغرافي الذي انتشر فيه تأثير نوك، على الرغم من عدم وضوح الغرض منها، ومن تلك الدلالات التاريخية:

- توثق أمراض اصابت سكان حضارة نوك منها (داء الفيل – الاستسقاء – تشوه الأسنان تشوه الأطراف– والبدانة) كما انتشر تصوير العمى النهري بين منحوتات نوك والمنتشر في موقع أونغوار كورا.
- توضح شكل الملابس.
- تبرز مدى انتشار ثقافة نوك.
- تستخدم كوسيلة لتتبع الهجرات البانتوية التي بدأت من غرب أفريقيا (منطقة كليرموند بين نيجيريا والكاميرون) واتجهت نحو وسط وجنوب القارة الأفريقية.
- التجارة: تشير إلى وجود شبكة تجارية واسعة النطاق في منطقة ثقافة نوك. سواء كانت هذه الاتصالات التجارية بعيدة المدى، تصل إلى ساحل المحيط الأطلنطي،

***) حضارتا Sanga وKatengo في الكونغو كينشاسا تنتميان إلى العصر الحديدي ونشأتا نتيجة الهجرات البانتوية وتأثرتا بحضارة نوك، اعتمدتا اقتصادهما على التجارة والزراعة. تميزت مقابر Katengo بالتضحية البشرية بالنساء والأطفال، بينما تميزت مقابر Sanga بوضع عدد من القدور مماثلة لعمر المتوفى.**

كما قد يبدو ممكنًا فيما يتعلق بالأصداف البحرية التي تظهر على رؤوس بعض المنحوتات، أو التجارة المحلية (**Breunig, 1996, p.66**).

تم تشكيل معظم فخار نوك يدويًا من الطين الحبيبي الخشن ونُحت بطريقة تظهر تأثيرًا من الخشب بعد التجفيف. تم تغطية المنحوتات بالزلق وصقلها لإنتاج سطح أملس لامع. الأشكال مجوفة وتحتوي على عدة فتحات لتسهيل عملية التجفيف والحرق بشكل كامل. من المرجح أن تكون عملية الحرق والتجفيف مشابهة لتلك المستخدمة اليوم في نيجيريا، حيث تُغطى القطع بالعشب والأغصان والأوراق وتُحرق لعدة ساعات (**Franke, G.: 2016, P.271**).

نتيجة للتآكل الطبيعي والترسب، انتشرت تماثيل نوك على أعماق مختلفة في جميع أنحاء أراضي الساحل العشبية، مما تسبب في صعوبة تأريخها وتصنيفها. لحسن الحظ، تم العثور على موقعين أثريين، هما سامون دوكايا Samun Dukiya وتاروجا Taruga، يحتويان على منحوتات نوك بحالة جيدة. باستخدام الكربون المشع، تم تحديد مجموعة من التواريخ بين حوالي ١٥٠٠ – ٥٠٠ ق.م، مما يجعلها أقدم المنحوتات في غرب أفريقيا. تم استرداد العديد من التواريخ الأخرى في سياق الحفريات الأثرية الجديدة، مما أدى إلى تمديد بدايات تقليد نوك إلى الأقدم (**Franke, G.: 2016, P.271**).

بسبب أوجه التشابه بين الموقعين، يعتقد عالم الآثار جراهام كوناه أن "عمل نوك يمثل أسلوبًا تم تبنيه من قبل مجموعة من المجتمعات الزراعية التي تستخدم الحديد من ثقافات مختلفة، بدلاً من أن تكون السمة التشخيصية لمجموعة بشرية معينة، وأن شعب نوك قد طور منحوتات من الطين من خلال الإنتاج الاقتصادي على نطاق واسع.

رابعا: منحوتات ايفّيٍ.

١- الاكتشاف.

منحوتات ايفي هي منحوتات لرؤوس آدمية تم تشكيلها من الفخار والنحاس والبرونز، تم اكتشاف لأول مرة في عام ١٩٣٨ في مجمع وانمونجى Wunmonije ، بالصدفة أثناء أعمال تشيد منزل. حيث عُثر على سبعة عشر رأسًا من النحاس. انتهى المطاف باكتشاف معظم أثار مجمع وانمونجى والمناطق المجاورة، وقد حفظ العديد منها في المتحف الوطني في ايفّيٍ، لكن بعض القطع غادرت نيجيريا وتوجد الآن في المتحف البريطاني واللوفر(شكل ٥).

شكل ٥: منحوتات مجمع وانمونجى Wunmonije Ife ، الاكتشاف الأول

نقلا عن: Drewal H.J. & Schildkrout ,E.: 2009, Dynasty and Divinity: Ife Art in Ancient Nigeria, University of Washington Press, p. 4

٢-الوصف

نسب الوجه الدقيقة المتقنة في منحوتات ايفي و العيون اللوزية المسحوبة لأعلى تعطي المظهر الهادئ للمنحوتة وتفاصيل منحوتات ايفي كالتالي :

- الدقة في التفاصيل التشريحية للأذنين.
- الدقة في التفاصيل التشريحية للوجه.
- الحجم الطبيعي بالكامل.
- وجوه بعض المنحوتات بها شلوخ وتشريط تمثل ندوب طقسية تميز مرور الفرد من الطفولة إلى البلوغ.
- رقاب طويلة مجوفة ذات سنون داخلية يحتمل أنها تساعد في تثبيت المنحوتة علي ساق خشبية أو ما شابه (Blier, S.P.: 1985, p.383).
- سلسلة من الثقوب حول الشفتين والفك والذقن ومنبت الشعر وذلك لعدة احتمالات:

أ) لربط اللحى أو عقود الخرز الزجاجي.

ب) جعل القوة غير العادية لكلمات الحاكم أقل احتمالية للتسبب في الخوف والأذى بمعنى السيطرة على حدة الكلمات الصادرة من الحاكم (شكل ٦) (Braunholtz, H. J.: 1940, p.76)

— تصوير اودودوا المعبود الخالق لشعب ايفي عبارة عن رأس بشرية لا تختلف عن رؤوس ايفي غير أنه يتقلد تاجا مميزا (شكل ٧)

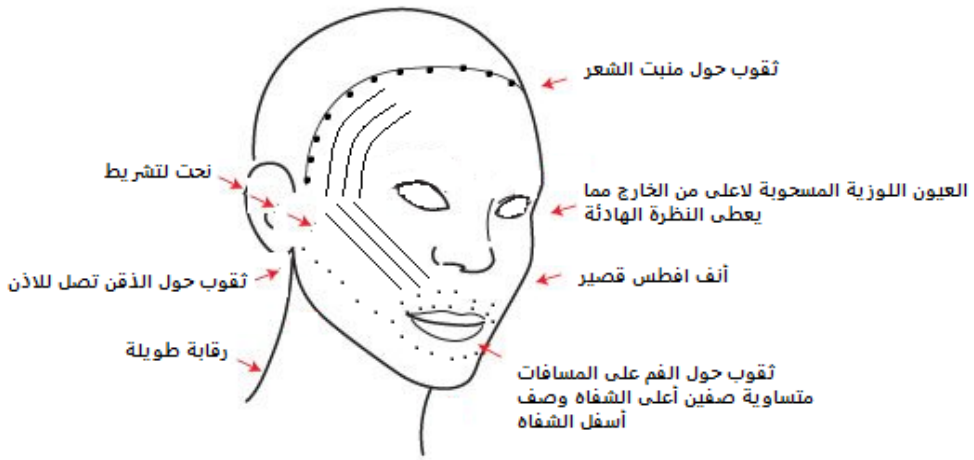

(شكل ٦) رسم تخطيطي لمنحوتات ايفّي (إعداد الباحثة)

(شكل ٧) المعبود اودودوا بالتاج المميز له نقلا عن : Cann, M.: 2020,P. 4

٣- طريقة الصنع:

تم تنفيذ المنحوتات ايفّي الفخارية والمعدنية لرؤوس بشرية طبيعية بالحجم الطبيعي التي اشتهرت بها ايفّي اليوم ببراعة شديدة لدرجة أنه عندما اكتشفها الأوروبيون لم يتمكنوا من تصديق أن الأفارقة السود القدامى صنعوا مثل هذه التحف، قد تم صنع الرؤوس وفقًا للتحليل الكيميائي والصب باستخدام عملية " الشمع المفقود " وهي تقنية يتم

من خلالها صنع نموذج من الشمع فوق قلب من الطين. يتم بناء طبقة أخرى من الطين فوق الشمع مع ترك فتحة في الأعلى، ويتم دفع أوتاد حديدية من الخارج إلى النموذج الأساسي الداخلي لمنع الاهتزاز. ثم يتم استخدام سلك الحديد لربط القالب بأكمله معًا. يُترك القالب حتى يجف ويُحرق على النار لإذابة طبقة الشمع التي تتدفق من الفتحة العلوية. ثم يتم صب البرونز (سبيكة من القصدير والنحاس) المصهور في بوتقة بعناية من خلال نفس الفتحة المفتوحة في الأعلى لملء المساحة التي أنشأها الشمع بين النموذج الأساسي وطبقة الطين الخارجية. بعد تصلب العمل، تتم إزالة الأوتاد وطبقة الطين الخارجية والقالب الأساسي ويتم إنتاج شكل مجوف (Awogbade, M.O.:2016, P.229).

كانت منحوتات الرؤوس مصبوبة من النحاس الأصفر وأحيانًا مصنوعة أيضًا من الفخار. جميع الرؤوس البشرية فريدة من نوعها ولكن الغرض الدقيق منها غير معروف. قد تمثل حكامًا أو آلهة أو أسلافًا مميزين أو استُخدمت لبعض الأغراض الدينية.

٢) تفسير منحوتات ايفي

منحوتات ايفّي هي تطور منحوتات نوك فتطورت من التراكوتا إلى النحاس (شكل ٨) وأصبحت نسب النحت أكثر دقة والتفسير الديني هو الاقرب لتفسير الغرض من إنتاجها، فمن الأدلة الاثنوجرافية والروايات الشفوية، كان هناك (ولا يزال بين اليوروبا اليوم) اعتقاد بأن شخصية الانسان (إيوا) تعكس طاقته الداخلية (Ase) وأن هذه الطاقة موجودة في كل الأشياء الطبيعية والإلهية، وكان يُعتقد أن الطاقة تكمن بشكل أساسي في رأس الشخص، وهو ما قد يفسر سبب تركيز فن ايفّي عادةً على هذا الجزء من الجسم، وعلاوة على ذلك ونظرًا لأن طاقة الأشخاص الأقوياء مثل الرؤساء يمكن أن

تكون خطيرة، فمن الضروري تغطية أفواههم أو حتى الوجه بالكامل باللثام – وهو ما يفسر وجود هذه الثقوب لتثبيت اللثام أو اللحية (Blier, S. P.: 1982, P.235).

ومن الأدلة الاثنوجرافية أيضا يتضح أن هناك عادة كانت واسعة الانتشار في جنوب نيجيريا، على مدار الـ ٦٠ أو ٧٠ عامًا الماضية: تتمثل في إجراء مراسم دفن مرتين: الدفن في أقرب وقت ممكن بعد الوفاة للجثة، ثم تقام الجنازة في وقت لاحق عندما يتم توفير المال الكافي لأقامتها حيث يتم اعداد ولائم ضخمة، تكون مراسم الدفن الثانية للأشخاص المهمين جدًا مصحوبة بصنع تمثال لشخصيته يسمى "آكو / إيوا" لتمثيل المتوفى. يتم تقديم القرابين له ثم يتم أخذ التمثال في موكب حول المدينة ودفنه (Frank, W.: 1967, P.33).

وهو ما يفسر نحت الرأس فقط، وأحيانا اليدين والقدمين بمقاييس طبيعية بينما لا يوجد ضرورة لنحت باقي الجسم ربما لأنه مخفي تمامًا بواسطة الملابس التي تثبت على التمثال، يبدو من المحتمل جدًا أن الرؤوس النحاسية من ايفّي كانت تستخدم بطريقة مماثلة، فجميعها لديها ثقوب وسنون صغيرة في الرقبة ليسهل تركيبها على جسم خشبي يرتدي رموز المنصب الذي كان يشغله المتوفى خلال حياته، مثل تلك المستخدمة في حفل (آكو). ويثبت الشعر أو الحبال (الذقن)، في الثقوب حول الفم، وربما لثام طقسي لإخفاء الفم. وتحمل الثقوب الصغيرة في الرأس التاج أو قبعة الرئيس للمتوفى، وكان الغرض من الحفل ديني (شكل٩) (Blier, S. P.: 1982, p.236) وعليه قد منحوتات إيفي هي لحكام أو الآلهة أو الأجداد المبجلين وتم استخدامها لبعض الأغراض الدينية .

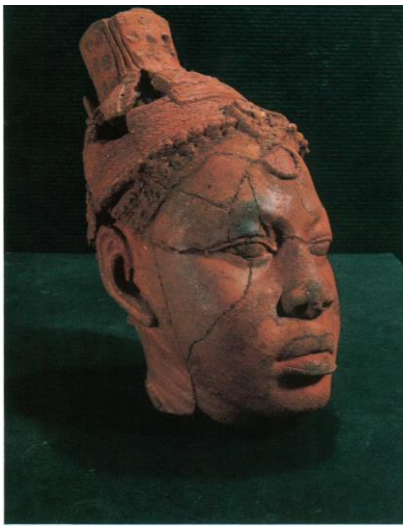

(شكل:٨) رأس تراكوتا متحف ايفي الوطني نقلا عن:Frank Willett: 1967, P.32

(شكل :٩) شكل تمثال أكو طقس الدفن الثاني متحف ايفّيِ الوطني.

خامسا: أوجه المقارنة

تعد منحوتات ايفي تطورا لمنحوتات نوك سواء في طريقة الصنع والخامات والمقاييس التشريحية وهناك أوجه للشبه والاختلاف بينهما كالتالي:

أوجه المقارنة	نوك	ايفي
التصميم	منحوتات كاملة	رؤوس فقط
فتحة التهوية	جانب الوجه	قمة الرأس
الترجيح الفرضي	أغراض دينية	أغراض دينية
طريقة التصنيع	التشكيل والصقل باليد	الشمع المفقود
النوع	بشرية وحيوانية	بشرية فقط
المادة الخام	صلصال	صلصال – نحاس – برونز
المقاييس	المبالغة في حجم الرأس (نحو ثلث المنحوتة)	قياسية

الخاتمة والنتائج

لم يكن المؤرخون والفنانون بشكل عام قادرون على تفسير منحوتات نوك وايفي بأسلوب محايد، فهو يشبه ظاهريًا فكرة انتاج منحوتات آدمية لغرض ديني أو فني كما في الحضارة المصرية القديمة واليونانية، ولم يكن بوسعهم إلا أن يفسروا تلك المنحوتات على أنها إما من صنع أوروبي كان يتجول في أفريقيا، أو أن هذه المنحوتات من صنع اليونانيين، وأن ساحل غينيا هو قارة أطلنتس المفقود وانكروا أن الأفارقة أنتجوا هذا الفن بأنفسهم.

ولا يعرف على وجه اليقين ما إذا كان انتاج منحوتات نوك وايفي مستمدًا بالكامل من مفاهيمهم فلسفية خاصة بهم، أو ما إذا كانوا قد تلقوا بعض الأفكار أو حتى النماذج من خارج نيجيريا. وغير أنه من المؤكد أنه لا يوجد أوجه تشابه بين منحوتات نوك و

إيفي وأي منحوتات أخرى خارج غرب أفريقيا. وإن أوجه التشابه التي تقترح –من وقت لآخر – مع التماثيل المصرية واليونانية القديمة، فهي ليست سوى تشابه عام. فإذا خطرت للفنان فكرة تمثيل الجسم البشري بأكبر قدر ممكن من الواقعية، فإن العمل الفني الناتج سيبدو متشابهًا للغاية سواء تم إنجازه بواسطة أفريقي أو أوروبي أو آسيوي، حيث أن الجميع يقلدون نفس النموذج وهو جسم الإنسان. ومن ثم فمن الممكن تفسير التفوق الذي تميزت به منحوتات إيفي على أنه تطور من الأسلوب الفني لنوك.

ومن العرض السابق نجد الاتي:

١) غلب على منحوتات نوك المنحوتات الطينية *Terracotta* بينما غلب على ايفي المنحوتات النحاسية.

٢) وتعد رؤوس ايفي هي تطور لتراكوتا نوك فهذا يرجح ان تلك الأخيرة كانت تنتج هي الأخرى لأغراض دينية.

٣) منحوتات نوك غلب عليها الاشكال الادمية أو الحيوانية الكاملة بينما غلب على منحوتات ايفي منحوتات الرأس فقط تسهيلا للأغراض الدينية (الدفن الثاني)

٤) ارتبطت تراكوتا نوك بصهر المعادن وهو ما يرجح احتمالين:

—— الغرض الديني للمنحوتات كتسهيل الصهر وحماية الحدادين من انفجار أفران الصهر.

—— احتمال أن تكون حظائر أفران صهر المعادن، هي نفس أماكن أفران حرق التراكوتا، ومع الوقت أصبحت صناعة التراكوتا ملازمة لصهر المعادن.

٥) تعد ايفٍي المظهر الحضاري المنتج الثقافي لحضارة النوك، هي النتاج الحضاري النهائي فهي الفن والميثولوجيا والتجارة.

٦) منحوتات ايفي ونوك تم انتاجها استجابة لاحتياجات عبادة الأسلاف. يبدو أن الأشكال الصغيرة المصنوعة من النحاس الصلصال كانت عبارة عن تماثيل تذكارية تُستخدم من قبل العامة.

٧) قواعد منحوتات نوك التي رجحت كونها تيجان أكواخ، تتشابه مع فكرة الجنازة الرمزية (الدفن الثاني) لحضارة ايفي، غير أن الفرق بينهما أن الجنازة الرمزية لايفي تكتفي بنحت الرأس فقط، وتثبت على ساق خشبية، مع ملابس تمثل المكانة الاجتماعية والدينية للمتوفي، بينما في حضارة نوك ينحت الجسم كاملا.

المراجع

أولا– المراجع العربية:

١)جين افريك: ١٩٨٦، تاريخ افريقيا العام، ج٢، اليونيسكو.

ثانيا – المراجع الأجنبية:

1) Breunig, P.: 2014, Nok: African Sculpture in Archaeological Context. Frankfurt am Main: Africa Magna, Cambridge University Press.
2) Cann, M.: 2020, Ife Uncovered, The Art of the Kingdom of Ife, in West Africa (Nigeria), OLLI at WVU, West Virginia university.
3) Connah, G.: 1987, African Civilizations: Precolonial Cities and States in Tropical Africa: An Archaeological Perspective. Cambridge University Press.
4) Drewal H.J. & Schildkrout, E.: 2009, Dynasty and Divinity: Ife Art in Ancient Nigeria, University of Washington Press.
5) Hambolu, M.O.: Construing a Relationship between Northwestern Nigeria Terracotta Sculptures and those of Nok, , National Commission for, Museums and Monuments Nigeria.
6) Horton, R.:1979, the Economy of Ife from C.A.D. 900-C.A.D 1700. In Akinjogbin, I.A (ed.).The Cradle of a Race Ife Beginning to1980. Port-Harcourt, Nigeria: Sunray Publications Ltd.
7) Ramsamy, Edward; Elliott, Carolyn M.; Seybolt, Peter J.: 2012, “Part I: Prehistory to 1400”. Cultural

Sociology of the Middle East, Asia, and Africa: An Encyclopedia. SAGE Publications.

ثالثا-الدوريات الاجنبية

1) Adepegba, C. O.: 1986, The Descent from Oduduwa: Claims of Superiority among Some Yoruba Traditional Rulers and the Arts of Ancient Ife, The International Journal of African Historical Studies , 1986, Vol. 19, no. 1 , PP. 77-92
2) Atwood, R.: 2011, the Nok of Nigeria, Archaeology, vol. 64, no. 4, P.38.
3) Awogbade, M. O: 2016, Examination of Ife Bronze Casting Culture and Its Decline in Maintenance Practice in Contemporary Society, African Research Review, Vol.10 , no. 40, P.227
4) Blier, S. P.: 1982, Treasures of Ancient Nigeria, Art Journal, VOL. 42, NO. 3, pp. 234-236
5) _____.: 1985, Kings, Crowns, and Rights of Succession: Obalufon Arts at Ife and Other Yoruba Centers, the Art Bulletin Sept, vol.67, No. 3, P.383
6) Braunholtz, H. J.: 1940, Bronze Head from Ifé, Nigeria, the British Museum Quarterly, VOL. 14, no. 4 , pp. 75-77
7) Fagg, A.: 1994, Thoughts on Nok, African Arts, VOL. 27, NO. 3, pp. 79-103
8) Franke, G.: 2016, A Chronology of the Central Nigerian Nok Culture – 1500 BC to the Beginning of the Common Era, Journal of African Archaeology Vol. 14 no.3, pp. 257–289.
9) Höhn, A.& Neumann, K.: 2016, The Palaeovegetation of Janruwa (Nigeria) and its Implications for the

Decline of the Nok Culture, Journal of African Archaeology, Vol. 14, No. 3, pp. 331-353

8) Junius, H. 2016. Nok early iron production in central Nigeria – new finds and features. Journal of African Archaeology, Journal of African Archaeology Vol. 14,No.3, pp. 28-40

9) Ogundele, J.O.:2013, Ife: A center of world civilization. Publication of Ife National Museum, Vol.1, No.1, pp. 4-6

10) Tanja M. Männel and Peter Breunig : 2016, The Nok Terracotta Sculptures of Pangwari , Journal of African Archaeology , Vol. 14, No. 3, pp. 313-329.

11) Willett, F.: 1967, IFE in Nigerian Art, African Arts , Vol. 1, No. 1 pp. 30-78.

Nok and Ife sculptures During the Iron Age

Abstract

West African sculptures (Nok terracotta and Ife heads) represent an indigenous African tradition of high realism and extreme craftsmanship. Nok Was associated with the metal-smelting culture and spread to Central and Southern Africa through Bantu migrations, while Ife was connected to North Africa and Mediterranean culture through trade routes. Nok and Ife are the only two cultures from sub-Saharan Africa to have created sculptures of human figures close to life-size. Ife civilization inherited many aspects of Nok, as Nok was the first example of iron smelting technology in sub-Saharan Africa. Nok sculptures provide valuable insights into the social, cultural, religious, political, and economic trends of the Nok. They also indicate the geographical extent of Nok influence and document diseases that affected the population, including elephantiasis, dropsy, dental deformities, limb deformities, and obesity. Depictions of river blindness in Nok sculptures help trace Bantu migrations in Africa and indicate the existence of a widespread trade network. Nok human sculptures display a geometric style, prominent triangular eyes with exaggerated size, prominent eyebrows, and a unique artistic style. Ife heads represent an evolution from terracotta to copper, with more precise dimensions and calm, natural images of humans. Ife sculptures feature almond-shaped, upward-drawn eyes that give a serene appearance, precise anatomical details of the face, and a religious interpretation. Oral traditional and ethnographic evidence support the belief that the purpose of producing Nok and Ife sculptures was closely tied to religious practices. Ife is considered a holy place today.

Keywords: Nok Civilization, Ife Civilization, Iron Age, Bantu, Terracotta